شهاداتٌ حيّةٌ من المواقع السّود
معسكرات الاعتقال والتَّعذيب الأمريكيَّة

■ كريم الجمّال[1]

ملخّص

يتناول البحث موضوع التَّعذيب وانتهاكات حقوق الإنسان، في السّجون ومراكز الاعتقال الأمريكيَّة، الّتي أنشأتها الحكومة الأمريكيَّة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، وقد أُطلق على هذه المعتقلات "المواقع السود".

يُركّز المقال على أساليب التَّعذيب المتّبعة في "المواقع السود" الأمريكيَّة، بالأخصّ في سجنيّ "جوانتانامو" و"أبو غريب"، معززاً بالأدلّة والأمثلة على هذه الانتهاكات والفظائع، كشهادات للجنود الأمريكان المُدانين. كما يسوق بعض شهادات للمعتقلين السَّابقين. بشكل عامّ يُقارن المقال، بين ما تدعيه آلة الزّيف والكذب الأمريكيَّة، وبين الحقائق الصّادمة.

الكلمات المفتاحية:

التَّعذيب - المواقع السّوداء - جوانتانامو - أبو غريب - السّجون - الاعتقال.

1 - باحث وكاتب وصحفي، من مصر.

المقدّمة

أقامــت الولايات المتّحدة الأمريكيَّة منذ بداية القرن الحالي، مراكز للتّعذيب خارج أراضيها، تسمّى "المواقع السّود"، حتى لا تخضع للقانون والمساءلة. حيث تطرح عدّة أسئلة حول السّلوك الإجرامــي للولايات المتّحــدة ودوافعه، وتأثير التّاريخ الأمريكيّ كدولــة مهاجرين، قامت على دماء أمم أخرى مثــل الهنود الحمر. فيما يبدو أنّ نزعة الانتقام عنــد الحضارة الأمريكيَّة آتية من قيــم براغماتيّة، وازدواجيّة المعايير الّتي تتميّز بها الإدارة الأمريكيَّة. لذلك كان لا بدّ من تســليط الضّوء على الجرائم الأمريكيَّة والسّجلّ الأمريكيّ في مجال حقوق الإنسان، بعكس ما تدّعيه بكلّ غطرســة، وما يترتّب على ذلك من رغبة أمريكا في محاسبة الدّول والتدخُّل في شؤونها وتخطّي ســيادتها. لذلك كان لا بدّ من تقديم لمحة وافية عن السّياسة الأمريكيَّة، وتوجّهاتها القائمة على الإزدواجيّة والتّضليل، وتبرير السّــلوك الإجراميّ، وعمــل الماكينة الإعلاميّة لتحقيق المصالح، دون الالتفات للمبادئ الّتي تدّعيها الولايات المتّحدة الأمريكيَّة، حيث اعتمد المقال على جمع شهادات من السّجناء، والجنود مع سرد وقائع التَّعذيب.

■ المبحث الأوّل: تاريخ معسكرات التَّعذيب.

أ- تعريف مختصر للتّعذيب

نصّت الأعراف والمواثيق الدّوليّة بألّا يخضع أيّ شــخص للتّعذيب، أو المعاملة، أو العقوبة القاســية، أو غير الإنسانيّة أو المُهِينَة، واعتبرت كافّة أفعال التَّعذيب، أو أيّ معاملة أخرى قاسية، أو غير إنســانيّة أو مهينة تشكّل جريمة ضدّ الكرامة الإنســانيّة، وانتهاكًا لهذه الأعراف والمواثيق المتعلّقة بحقوق الإنسان.

واعتــبرت العديد من المنظّمات الحقوقيّة، مثل منظّمة العفــو الدّوليّة، وقوع التَّعذيب عندما

يتسبَّب شخص ما في إيقاع الألم النّفسيّ أو البدنيّ لشخص آخر لغرضٍ محدَّد. وفي بعض الأحيان تقوم السّلطات بتعذيبِ أيّ شخص لانتزاع معلومات أو اعتراف منه. في بعض الأحيان، يتمّ استخدام التَّعذيب كوسيلة عقاب لنشر الخوف في المجتمع.

واختار الفيلسوف الفرنسي (ميشال فوكو)، تعريفاً للتعذيب بأنّه عقاب جسديّ مؤلم، يتفاقم إلى حدّ الفظاعة نوعًا ما. فهو ظاهرة لا تقبل التَّفسير، جعل منها اتّساع مدى خيال النّاس بربريّة ووحشيّة[1].

ويمكن فهم مصطلح التَّعذيب بحسب بعض المعاهدات الدّولية، مثل ما تضمّنت عليه الاتّفاقية الأمريكيَّة لمنع التَّعذيب والمعاقبة عليه، حيث اعتبرت أنّ التَّعذيب هو استخدام الوسائل، الّتي يقصد بها طمس شخصيّة الضّحيّة، أو إضعاف قدراته البدنيّة أو العقليّة، حتّى وإن لم تسبّب الألم البدنيّ أو العقليّ.

وقد اعتبرت كلّ المواثيق والأعراف الدّولية، أنّ التَّعذيب جريمة لا تسقط بالتّقادم، ولم تعطِ أيّ مبرر للقيام بأعمال التَّعذيب وإساءة المعاملة.

وبحسب ما ذكره (بيرنهاردت ج.هاروود)، فإنّه ليس صحيحًا أنّ الشّرقيّين أكثر قسوة من الغربيّين، الفارق كامن في حقيقة أنّه في الشّرق، هناك اعتراف أكثر أمانة بالقسوة الغريزيّة، الّتي تعتمل في قلوب البشر كلّهم[2].

وقد تطوّرت أدوات العقاب والتَّعذيب مع التّطوّر التّكنولوجيّ عبر العصور، فقد بدأت بالأساليب التّقليديّة المعتادة مثل الضّرب بالعصا، أو الجَلْد بالسّوط، أو الكيّ بالنّار، وإن كانت هذه التّقنيّات مستمرّة حتّى الآن. استغلتّ قوى الشّرّ التّكنولوجيّا الحديثة، في تطوير أساليب جديدة، مثل الصّعق بالكهرباء في مختلف أنحاء الجسم، مع وضعيات مؤلمة للجسم.

وبشكل عامّ تلجأ الأنظمة السّياسيّة إلى عمليات التَّعذيب، مع عامل إشاعة الخوف والرّعب ممّا يحدث في معتقلاتها، وتعمد إلى نشر أو تسريب بعض الأهوال، الّتي تقوم بها بهدف إثارة الخوف والإرهاب عند الشّعب، للسّيطرة عليه وقمعه وتهديده الدّائم بالمصير الأسود. ولا تتحرّى أجهزة القمع عند هذه الأنظمة الدّقّة في الإجراءات القانونيّة، فقد يكون المحتجز أو السّجين، الّذي يتمّ تعذيبه وانتهاكه جسديًّا، أو نفسيًّا، أو جنسيًّا، مُدانًا أو مذنبًا.

1 - فوكو، م. (1990)، ص71.

2 - هروود، ب. (2008)، ص31.

ب- مدخل مبسّط لعمليات التَّعذيب الأمريكيّ قبل القرن العشرين.

قدّم العديد من الباحثين دارسات وكتبًا وأبحاثًا عن هذا الموضوع. وقد ربطه كثير منهم بالإرث الاستعماريّ للولايات المتّحدة الأمريكيَّة. وفي هذا الصدد نظّم برنامج التّقدّم البحثيّ للطّلاب الجامعيّين التّابع لمركز الدّراسات الدّوليّة والإقليميّة "كيورا"، في جامعة "جورج تاون" فرع قطر في 3 أبريل / نيسان، 2019م ندوة تحدّثت فيها (ريتيكا راميش)، بعنوان "التَّعذيب الأمريكيّ والمواقع السّود: التّاريخ والتّطوّر (1898-2008)". وقدّمت (راميش) نبذة تاريخيّة، عن استخدام حكومة الولايات المتّحدة التَّعذيب، سياسةً رسميّةً في حروبها منذ الحرب الفلبينيّة الأمريكيَّة في عام 1898. وحول اضطهاد الأمريكيّين من أصول أفريقيّة، تنفي (راميش) انتهاء التَّعذيب ضدّهم بعد إلغاء العبوديّة في عام 1865م، بل تصفه بأنّه اتّخذ طابعًا مؤسّسيًا. وتمّ وضع نظام اعتبرهم مجرمين مدانين، وبالتّالي يتمّ تأجيرهم في أعمال شاقّة بلا أجر ولا أيّ حقوق. وقالت (راميش) كان يتمّ تقييد السُّجناء بالسّلاسل. ويلقى عليهم القبض لا لشيء، إلّا لأنّهم أحياء يرزقون، وكانوا يُرغَمون على أداء أعمال شاقّة بلا أجر[1]. واعتمدت (راميش) في تكوين وجهة نظرها على ما حدث قبل إلغاء العبودية ؛ فقد وقع العبيد ضحايا لانتهاكات شنيعة على اعتبار العبودية شكلاً من أشكال التَّعذيب، حيث تمت ممارسات من قبيل الكيّ بالحديد المحمي، والضرب الوحشي، والإغتصاب.

وتعتقد (راميش) أنّ الحكومة الأمريكيَّة، خصّصت مواردَ مالية ضخمة، لدراسة التَّعذيب وتطوير أساليبه، بما في ذلك بناء مراكز الاحتجاز والاعتقال بشكل مثاليّ لممارسة التَّعذيب. وترى (راميش) أنّه قد تمّ استخدام أساليب تعذيب في الفلبّين منها الإجهاد والضّربُ، وسُجِن الكثير من الفلبّينيّين في معسكرات الإعتقال، حيث ساد الاكتظاظ والجوع والأمراض.

وبحسب (راميش) فإنّ أسلوب الإيهام بالغرق، الّذي استعملته المخابرات الأمريكيَّة في التَّعذيب، بعد هجمات الحادي عشر من سبتمبر، قد تمّ تطويره واستحداثه من أسلوب "العلاج المائيّ"، الّذي استخدمه الأمريكيّون في تعذيب السُّجناء الفلبِّينيّين.

ج- تعريف بنشأة المواقع السّود الأمريكيَّة.

يقول الكاتب الأمريكيّ والمدافع عن حقوق الانسان (لاري سيمز)، أنّ تاريخ إنشاء السّجون

1 - Ramesh, R. (2019), p.14.

السّريّــة الأمريكيَّة، الّتي يُطلق عليها المواقع السّــود، يعود إلى السّــابع عشر من ســبتمبر، بعد ســتّة أيّام من الهجــمات الإرهابيّة على مدينة نيويــورك، والعاصمة واشــنطن. ولهذا قد أصدر الرّئيس الأمريكيّ (جورج بوش الابن) أمراً توجيهيًّا، يخوّل بموجبه وكالة الاستخبارات المركزيّة الأمريكيَّة، إنشاء سجون سرّيّة خارج الولايات المتّحدة وإدارتها[1].

تظهر الرّغبة الأمريكيَّة في القيام بعمليّات الاعتقال والتَّعذيب، ولكن خارج حدودها لكي تظلّ حقوق الإنسان والدّيمقراطيّة والحرّيّة حكرًا على المواطن الأمريكيّ والأوروبيّ فقط دون، وهو ما يعكس مبادئ الطبقيّة والعنصريّة، الّتي تخدم الفكر الرأسماليّ المتوحّش.

وقــد امتدّ برنامج التَّعذيب الأمريكيّ بعد الحادي عشر من ســبتمبر، منذ 17 ســبتمبر / أيلول 2001م حتّــى يناير / كانون الثاني 2009م، حيث أصــدر الرّئيس (باراك أوباما)، أمرًا ينهي برامج التَّعذيب الّتي اعتمدها ســابقًا (جورج دبليو بوش)، الّذي ســمح بالتَّعذيب للمعتقلين بعد منع تطبيق اتّفاقيات جنيف على المشتبه بهم من تنظيم القاعدة.

فيما أخفت أمريكا وجود مراكز الاعتقال والاستجواب السّرّيّة في 54 دولة، بالتّعاون مع بعض أجهزة الأمن في دول مثل بولندا، وليتوانيا، ورومانيا، وتايلاند، ودول عربيّة وإسلاميّة أخرى[2].

وقد صدر تقرير لمجلس الشّــيوخ الأميركيّ عام 2014م عن الممارسات والانتهاكات، الّتي قامت بها المخابرات الأمريكيَّة، ومن قبلها خرجت تسريبات صحفية وتقارير لمنظّمات حقوقيّة، تفضح ما قامت به المخابرات الأمريكيَّة في "المواقع السّود"، حيث تسرّبت صور مقزّزة تحاكم ضمير العالم والإنسانيّة، بالأخصّ "جوانتانامو" و"أبو غريب".

وقد تضمّن الأمر الرّئاسيّ الأميركيّ، استخدام "القوّة الضّرورية" المناسبة ضدّ تلك الشّعوب، أو المنظّمات، أو الأشخاص الّذين يقرّر الرّئيس أنهم خطّطوا، أو خولّوا أحدًا للقيام بالهجمات، الّتي وقعت في الحادي عشر من سبتمبر، أو قاموا بها بأنفسهم، أو آووا تلك المنظّمات؛ وذلك لكي يمنع أيّ أعمال إرهابيّة في المستقبل على الولايات المتّحدة من أيّ جهة كانت[3].

ويــرى (لاري ســيمز) أنّ جريمة الاختفاء القــسريّ، مقترنة إلى حدّ كبــير بجريمة التَّعذيب،

1 - سيمز، ل. (2017)، ص35.
2 - السعدي، ح. (2023)، ص40.
3 - سيمز، ل. (2017)، ص40.

كما يرى أنّه لا يوجد مبرّر لإخفاء شـخص ما تحت التّحقيق، أو اسـتخدام التّعذيب معه لانتزاع معلومات. يعتقد (لاري سـيمز) أنّ السّجون السّرّيّة مسألة غير شرعيّة، تخالف القانون الدّولي. ويجب على دول العالم أن تعلن عن السّـجون الخاصّة بهـا، وأن يكون للمعتقلين الحقوق في محاكمة عادلة، وفي إجراءات تقاضي قانونيّة، وأن يحظوا بالرّعايّة الصّحيّة، ومتابعة الجمعيّات الحقوقيّة، وأن تكون مراكز الاحتجاز، وأماكن التّحقيق مناسبة، وتحقّق الشّروط القانونيّة بحسب ما اتفّقت ووقّعت عليه دول العالمّ في المعاهدات والمواثيق الدّولية لحقوق الانسان، الّتي تدعو لمناهضة التّعذيب.

وقد تعاون عـدد من منظّمات المجتمع المدنيّ الأمريكيّ، مثل "اتّحاد الحرّيّات المدنيّة" في إتاحة الوثائق، الّتي تمّ نشرها عن التّعذيب وقت "المواقع السّـود" بشـكل رقميّ على الانترنت، ومع ذلك فإنّه لا يزال العديد من الوثائق عن عمليّات التّعذيب، غير واضح وغير معلن، وبحسب (لاري سـيمز) فإنّ أغلـب أشرطة الفيديـو، الّتي توثق عمليّـات التّعذيب، قامـت المخابرات الأمريكيّة بإتلافها. وقدكان هناك جدال في إدارة (بوش) بين الكونغرس، والمخابرات الأمريكيّة، ومستشـاري (بوش) للأمن القوميّ، ونائبه (ديك تشيني) بشأن إعلان الخطوات، الّتي ستتّخذها المخابرات من أجل إنشاء "المواقع السّود"، خارج أمريكا وعمليّات التّحقيق فيها.

اعتمـد عملاء المخابـرات الأمريكيّة على الأمـر الرئاسي الّذي أصدره (بـوش) في عملهم، ولكن هذا الأمر الرّئاسيّ لم يكن كافيًا ولا منضبطًا من النّاحيّة القانونيّة كما يرى (لاري سـيمز)؛ لأنّـه كُتب بصيغة فضفاضة ،ولم يتمّ وضع ضوابـط واضحة لتحديد الأعداء، أو التّهديدات، أو تحديد الإجراءات الّتي تقوم بها المخابرات في الدّاخل الأمريكيّ وخارجه، ولذلك حرص عملاء المخابرات على إتلاف الكثير من الوثائق وعدم السّماح بنشر الكثير منها، لسابق علمهم بإمكانيّة إلغاء الأمر الرّئاسيّ بعد انتهاء فترة رئاسة (بوش)، وحتّى لا يتعرّض أحد منهم للمسائلة القانونيّة، أو لكي يحافظوا على سمعة المخابرات في حال تمّ افتضاح الأمر.

وكان (بوش) وأفراد من إدارته، مثل نائبه (ديك تشيني)، قد تحدّثوا في وسائل الإعلام الأمريكيّة عن اتّخاذ إجراءات ضروريّة، قد تكون مؤلمة واستثنائية، في إشارة لعمليات التّعذيب، وقد برّرت إدارة (بوش) هذه السّلوكيّات الهمجيّة بأنّ أعضاء تنظيم القاعدة إرهابيّين خطرين، ولديهم القدرة على الكذب في التّحقيقات وعدم إعطاء أيّ معلومات تفيد التّحقيق.

■ المحور الثّاني: التّعذيب والانتهاكات في سجنيّ "جوانتانامو" و"أبو غريب"

حدثت في هذين المعتقلين كلّ أنواع الانتهاكات لحقوق الإنسان من ضرب وإهانة وتعذيب، منها أشياء نفسيّة وجسمانيّة، وصلت حدّ إهانة المقدّسات وتدنيس المصحف الشّريف، واستجواب لساعات طويلة، وعدم السّماح بالنّوم، والحرمان من الطّعام، والحرمان من الملابس والأغطيّة، وقد استحدثت أمريكا وسائل تعذيب جديدة، فالأمر غير مقتصر على التّعليق والصّعق بالكهرباء مثل الإيهام بالغرق. ولم تقتصر الاعتداءات على الجوانب النّفسيّة والبدنيّة فقط، بل امتدّت إلى اعتداءات جنسيّة، من التّسجيلات الّتي منعت السّلطات الأمريكيَّ، نشْرها اعتداءات جنسيّة على أطفال عراقيينّ في سجن "أبو غريب".

فقد نقل (الفتلاوي) وقائع مماثلة؛ ففي العاشر من مايو / أيار عام 2004م ،نشرت جريدة "نيويورك تايمز" مقالاً للكاتب (سيمور هيرش) بعد مشاهدته شريط فيديو حول تعذيب الأطفال. ومنعت السّلطات الأمريكيَّة عرض الفيلم أو عرض الصّور. واحتوى الشّريط على مَشاهِد لجنود الاحتلال، يلوطون بالأولاد والكاميرا تقوم بالتّصوير، وكان أسوأ جزء من المشاهد ،هو تلك الأصوات الصّاخبة الّتي كانت تصاحب عمليّات الاغتصاب، إنّها صرخات الأولاد خلال اللّواط بهم.

أ- أساليب التّعذيب في المواقع السّود الأمريكيَّة

● الإيهام بالغرق: هذا الأسلوب في التّعذيب، يمكن أن يتسبّب في تشنّجات وقيء. يتمّ صبّ الماء بشكل قسريّ في فم المعتَقَل وأنفه مع تقييده، أو غمره بالماء حتّى يشعر بقرب الموت، وهذا الأسلوب تمّ استعماله قديمًا، ولكن أمريكا قامت بتطويره من خلال متخصّصين نفسيّين لاستخدامه في "المواقع السّود".

● خفض الحرارة: يتمّ وضع المعتقلين في أحواض مليئة بالماء المثلّج.

● النّوم والعزل: الاستيقاظ القسريّ لمُدد تصل إلى 180 ساعة، في وضعيّة الوقوف مع تقييد الأيدي في بعض الأحيان. ومن وسائل التّعذيب أيضًا، ترك السُّجناء وسط ظلام تامّ في زنازين معزولة لفترات طويلة، واستعمال الموسيقى أو الضّجيج.

● التّهديد والاستفزاز: تمّ تخويف السُّجناء بأدوات حديديّة، وتهديدهم بالضّرب أو كسر الأعضاء، أو إحداث إصابات بالغة، وبالاغتصاب، والتّهديد بإلحاق الأذى بعائلاتهم، والتّهديد

بالقتل. واستفزاز المعتقلين بالسّــخريّة، والإساءة للمعتقدات والمقدّسات الإسلاميَّة، والتّهديد بتمزيق وتدنيس المصحف مثل إلقائه في القذارة، والاستفزاز برائحة الخمر المُحرَّم.

● الإذلال: كان السُّجناء يمشون عراة خارج زنازينهم، مع الضّرب والإهانات، والصّفع الشّديد، وعدم السّماح لهم باستعمال دورات المياه، واستعمال الحفاضات.

● الإجهاد: إجبار المعتقلين على الجلوس أو الوقوف في وضعيات متعبة ومرهِقة جسديًّا، مثل وضع عصا خلف ركبة السّجين عندما يجثو على ركبتيه، والتّقييد بالحبال أو الجنازير، والحرمان من الطّعام والشّراب، أو تقديمه بكميّات قليلة جدًّا. التّعليق لســاعات طويلة في باب أو سقف، ويكون هذا التّعليق مؤلماً للغاية، إذا تمّ في عضو من الجسم مثل الذّراع أو القدم، ممّا قد يتسبّب بخلع أو كســور في العظام، واســتعمال وضعيّة أشبه بالدّجاجة على سيخ الشّوي مع الضّرب أو الصّعق بالكهرباء.

● التّغذيّة القسريّة: وضع أنبوب داخل الشّرج، مرتبط بطعام مهروس وضخّه داخل الجسم.

● التّخويف باستخدام الحشرات والكلاب: يتمّ وضع السّجين وسط كميّة كبيرة من الحشرات، مثل البعوض والصّراصير، واستعمال الكلاب المفترسة لتخويف الأسرى.

● الاعتداءات الجنســيّة: الاغتصاب والشّــذوذ الجنسيّ أو التّهديد به، تمّ التّحرّش بالسُّجناء ســواء كان الجنود رجالاً أم نســاء، الإجبار على مشــاهدة مواد إباحية، إيذاء الأعضاء التّناسليّة للسّجناء وأحيانًا صعقها بالكهرباء، التّنمّر والسّخريّة الجنسيّة من السّجناء، مشاهدة المجنّدات لأعضائهم وهم عُراة، وإجبار السُّــجناء على الاستمناء، وكان أحياناً يتمّ اللّجوء إلى وضع عصا صغيرة في مؤخرات السّجناء.

ب-التَّعذيب والانتهاكات في سجن "جوانتانامو".

معتقل "جوانتانامو" في كوبا، يقع في منطقة خليج "جوانتانامو" على مســاحة 45 ميلاً مربعاً، يبعد عن الحدود الأمريكيَّة حوالي 90 ميلاً، قامت الحكومة الأمريكيَّة باســتئجارها من كوبا منذ أكثر من 100 عام، والحكومة الكوبيّة الحاليّة تعتبر التوّاجد الأمريكيّ غير شرعي.

يــروي (معظّم بيج) البريطانيّ من أصول باكســتانيّة، والمعتقل السّــابق في "جوانتانامو"، في كتابه "عدوّ محارب"، رحلة مسلم بريطانيّ إلى معتقل "جوانتانامو" ذهابًا وإيابًا، قصّته والأحداث

الّتي عايشها والأشخاص الّذين التقى بهم، والمعاناة والانتهاكات الّتي رآها، وسمع عنها خلال رحلته الطّويلة.

وفي سـياق حديثه عن معتقل "جوانتانامو"، بعد القبض عليه من شـقّته في باكستان، ثمّ نقله إلى سـجن "باجرام" في أفغانستان، روى (معظّم بيج) كيف أنّ التّحقيق لم يكن قانونيًّا، وملفّقًا، حيث لم يكن معه أيّ محامٍ سـوى شخص قام الجيش الأمريكيّ بتعيينه فيما بعد، وعندما واجه المحقّقين وجد سلسلة من الاعترافات مكتوبة، وطلب منه المحقّقين التّوقيع عليها، وقد اندهش (معظم) من هذه الافتراءات، حيث أنّـه لم يقُم بهذه الأفعال، ولم يرتكب هذه الجرائم، وعندما اعترض على المحقّق، هدّدوه بالإعدام أو بالسّجن فترات طويلة، أو بالإعدام بعد السّجن فترات طويلة.

تمّ وضع (معظّم) في الحبس الإنفرادي لمدد طويلة، وقد قدّم شكاوى عديدة، وطلب من إدارة السّجن توفير لقاء له مع أحد رجال الدّين الإسلامي، ولكنّ طلبه قوبل بالرّفض، وكان يتمّ استبداله ببعض الأطباء النّفسـيّين، وأثناء حوار (معظّم) مع إحدى الطّبيبات النّفسـيّات قالت له:"إنّ هذا المعتقل في يوم من الأيّام سيتحوّل إلى متحف للتّعذيب، مثل معتقلات التّعذيب اليابانيّة خلال الحـرب العالميَّة الثّانية". ويصف هذه الطّبيبة بأنّها لم تكن فخورة بأمريكا. ويروي (معظّم) عن حوار مع أحد الجنود في السّجن، ويُدْعَى (ميسادور) وقد حكى له (معظّم) عن اعتقاله ورحلته من باجرام إلى "جوانتانامو" بقوله: "تبًّا يا (معظّم)، إنْ لم تكونوا إرهابيّين جميعاً قبل قدومكم إلى هذا المكان، فستصبحون كذلك ما إن تغادروه، بسبب الطّريقة الّتي عوملتم بها"[1].

وكان (ميسـادور) قد أخبر (معظّم) عن الهرم البشريّ، الّذي اسـتعمله الجنود في سجن "أبو غريب"، وهو عبارة عن مجموعة من السُّجناء يتمّ تعريتهم ووضعهم فوق بعض على شكل هرم. وقد أشـار (معظّم) إلى السّخرية من الشّـعائر الإسـلاميَّة، حيث كان بعض الجنود الأمريكيّين يحاولون تقليد صوت الآذان بطريقةٍ سـاخرة، وبعضهـم كان يعطي معلومات مضلّلة عن اتجاه قبلة الصّلاة، وفي رمضان كانوا يعطون مواعيد مغلوطة عن توقيت الصّيام والإفطار.

وكان (معظّم) بسبب جنسـيته البريطانيّة يحظى بمعاملة طيّبة في "جوانتانامو"، بعكس باقي الجنسـيّات العربيّة والإسـلاميَّة، وكانت هنـاك مفاوضات بين الحكومـة البريطانية والحكومة

1 - بيج، م. (2008)، ص297.

الأمريكيَّة، لإطلاق سراح 5 بريطانيّين بينهم (معظّم)[1].

وذكر (معظّم) أنّ بعض السُّجناء، كانوا لا يحصلون على ملاءات مثلهم، تسترهم وقت قضاء الحاجة، وقد شعر بالأسف الشّديد لأنّ أولئك المعتقلين كانوا يقضون حاجتهم أمام أعين الحرّاس. ويصف (معظّم) قوّة التّدخُّل السّريع، وهي مجموعة من الجنود، ترتدي خوذات الصّدر والكواحل، ودروع ضخمة، ومَهمّتها معاقبة أيّ مسجون يخرج عن النّظام وتعليمات السّجن. وكانوا يحرصون على تصوير كلّ عمليّاتهم وكان يتمّ تهديد المعتقلين بهذه القوّة. ويروي (معظّم) واقعة مهينة لأحد المعتقلين، لمّا أعطاه الجنود قطعة صابون للإغتسال بعد الحمام، ولكنّه أراد الاستحمام فلم يُعد لوح الصّابون، فتدخلت هذه القوّة وتمّ ضربه بعنف حتّى سالت منه الدّماء.

1. حالة (أبو زبيدة)

أصدر "مركز السّياسات والبحوث" بجامعة "سيتون هول" الأمريكيَّة تقريرًا، عن حالة المعتقل الفلسطينيّ في جوانتانامو (أبو زبيدة). أعدّ التّقرير البروفيسور (مارك دينبو) الأستاذ بالجامعة ومدير المركز، ومحامٍ لعدد من المعتقلين بـ"جوانتنامو"، منهم المعتقل الشّهير (أبو زبيدة). اشترك مع البروفيسور (دينبو) بعض الباحثين والمتخّصصين في التّقرير، الّذي أعدّه عن التَّعذيب وانتهاكات مكتب التّحقيقات الفيدراليّة، ووكالة الاستخبارات المركزيّة في معتقل "جوانتانامو". تمّ اعتقال (أبو زبيدة) في باكستان في شهر مارس / آذار 2002م، اسمه الحقيقيّ (زين العابدين محمّد حسين)، فلسطينيّ الأصل مولود في السّعوديّة. أورد التّقرير معاناة (أبو زبيدة)، وتضمّن ما قدّمه، أكثر الرّوايات شمولاً وتفصيلاً حتّى الآن، عن التَّعذيب في المعتقل. رسم نحو 40 لوحة تؤرّخ التَّعذيب، الّذي تعرّض له وزملاءه بين عامي 2002م و2006م. وهو أقدم معتقل في "جوانتانامو"، وأوّل من تمّ تطبيق برنامج التَّعذيب الأمريكيّ عليه.

ولقد اعترف المسؤولون في وكالة الاستخبارات المركزيّة، ومكتب التّحقيقات الفيدراليّة المتسبّبين في عمليّات التَّعذيب، أنّ ما حدث كان نتيجة خطأ في تحديد الهوية، ومع ذلك لا يزال رهن الاعتقال، ولم توجّه إليه أيّ تُهمة حتّى يومنا هذا[2].

1 - بيج، م. (2008)، ص343.

2 - Denbeaux , M. (2023) p2.

وقد روى (أبو زبيدة) للجنة الصّليب الأحمر، ظروف معاملته السّيئة داخل السّجن، حيث كان في زنزانة صغيرة، ثم تمّ نقله إلى كرسيّ قبع فيه، مقيّد اليدين والسّاقين مدّة أسبوعين إلى ثلاثة، فقط سمحوا له بدلو لقضاء حاجته، اشتكى لـ (أبو زبيدة) للصّليب الأحمر من قلّة الطّعام الّذي يقدّم له ورداءته، ومن برودة الزنزانة، ومن صوت الموسيقى والضّجيج العالي، ولم يكن يُسمح له بالنّوم، وكان الحرّاس يرشّون عليه الماء البارد لإبقائه مستيقظًا، وتركوه عاريًا لمدّة شهرين أو شهر ونصف. وبعد شهرين أو ثلاثة بدأ برنامج التَّعذيب الحقيقيّ. أظهر التّقرير الّذي أعدّه البروفيسور (دينبو) بعض رسومات أبو زبيدة الّتي تحاكي طرق تعذيبه[1].

- وقد أوضح التّقرير انتهاكات جسيمة من خلال الرّسومات، مثل الرّسمة الأولى حيث كان (أبو زبيدة) جالسًا في صندوق صغير أشبه بالتّابوت، ومكبّل الأيدي والقدمين وهو عار.
- الرّسمة الثّانية الّتي نشرت لـ (أبو زبيدة) كانت وهو مقيّد اليدين والقدمين، وممدّد على ظهره أو بطنه، وقيوده مشدودة إلى قضبان الزنزانة، وكان من دون ملابس، ومن دون فَرش. عانى (أبو زبيدة) من درجة حرارة الزّنزانة الإسمنتيّة الّتي وصلت إلى درجة التجمّد، وفي بعض الأحيان كانوا يضعون كيسًا أو صندوقًا صغيراً يغطّي رأسه، ويتركونه مدة طويلة في هذه الوضعيّات المجهدة. وكان مصابًا عند اعتقاله بطلقات في الفخذ وفي الخصية، ولديه إصابات في القدم والسّاق، بسبب عمليّة اعتقاله ونقله من باكستان إلى مواقع سود أخرى، قبل وصوله إلى "جوانتانامو"، بالإضافة إلى ما يسبّبه أَلَم القيود والأصفاد، والوضعيّات المجهدة.
- الصّورة الثّالثة توضح (أبو زبيدة) معلّقًا، حيث يتمّ تقييده من يديه، وشدّه بعد رفعه عن الأرض، بحيث يتمّ رفع يديه إلى الأعلى وهي مقيدة، ثمّ ربط يديه مقيدتين في أحد القضبان، ثمّ يترك متدلّيًا مرفوعاً عن الأرض، ممّا يسبّب آلامًا مبرّحة في الذّراعين مع تركه لوقت طويل.
- الصّورة الرّابعة (أبو زبيدة) مقيّداً، ومربوطاً على سرير، ويتمّ صبّ الماء المندفع بشدّة على وجهه.
- الصّورة الخامسة لـ (أبو زبيدة) مقيّد اليدين والقدمين، ويتمّ خنقه بفوطة حول عنقه، وأحد الحرّاس يضرب رأسه في الجدار بشدّة.
- الصّورة السّادسة "أبو زبيدة" جالس على كرسيّ، مقيّد اليدين والقدمين، وفي بعض الأحيان

1 - Denbeaux , M. (2023) p6.

كانوا يغطّون رأسه بكيس من القماش.

● الصّورة السّابعة توضح تعليق (أبو زبيدة)، وشدّ قدميه وذراعيه بالسّلاسل الحديديّة بقوّة، وتركه لأيّام أو أسابيع وهو عارٍ، ويقضي حاجته في نفس مكانه.

● الصّورة الثّامنة (أبو زبيدة) مقيّد اليدين والقدمين، ومحشور في صندوق صغير، لا يمكنه فيه رفع جسده، ولا يمكنه الوقوف، فإمّا يكون نائمًا أو منحنيًا في وضعيّة السّجود.

● الصّورة التّاسعة تظهر تهديد بالاغتصاب لـ (أبو زبيدة)، وقد جثا على قدميه وركبتيه، بينما يتمّ ضربه بعصا على مؤخّرته، أو وضع العصا داخل المؤخّرة.

● الصّورة العاشرة يمكن وصفها بالدّوّامة، وهي مزيج رهيب من أساليب التّعذيب المختلفة بشكل مستمرّ، حيث تمّ استعمال التّقييد، مع البرد الشّديد، مع إطلاق بعض الحشرات مثل العقارب، مع استعمال الموسيقى والضّجيج، مع تركه عاريًا، ورشّه بالماء، مع السّباب والإهانات الجنسيّة.

● الصّورة الحادية عشرة توضح تعرّض (أبو زبيدة) للبرد الشّديد، حيث يتمّ رشّه بالماء عن طريق خرطوم، مع استعمال مكيّفات ليشعر بالبرد الشّديد حتّى التجمّد مع تركه عاريًا.

● الصّورة الخامسة عشرة تظهر (أبو زبيدة) مستلقيًا على ظهره داخل حوض، ومغمور تمامًا بالماء، مع استمرار سكب الماء وخنقه، وإغلاق الصّندوق.

● الصّورة السّادسة عشرة توضح بعض الحشرات والزّواحف في زنزانته مثل العقارب والصّراصير، وهذه الطّريقة تهدف لإخافة المعتقلين.

● الصّورة السّابعة عشرة توضح (أبو زبيدة) في صندوق صغير، أقلّ من طول قامته، وهو جالس ومقيّد بداخله، والحرّاس يقومون بدفع الصّندوق، وضربه من الخارج، وداخل الصّندوق دلو ليقضي حاجته فيه، ومع هذه الحركة والضّرب يسقط البول داخل الصّندوق على أبو زبيدة.

● الصّورة التّاسعة عشرة توضح الإيهام بالغرق، عندما يوضع في حوض ويتمّ غمر كامل جسده بالماء، وقد تعرّض "أبو زبيدة" للإيهام بالغرق أكثر من 80 مرة.

● الصّورة الثّالثة والعشرون توضح (أبو زبيدة) وهو مقيّد، ووضع كيس من القماش حول وجهه، مع توصيل سماعة بأذنه مع موسيقى صاخبة متواصلة.

● الصّورة السّابعة والثلاثون توضح إيذاء العضو التّناسليّ (أبو زبيدة)، حيث كان ممدّدًا على

ظهـره، ومقيّدًا من يديه وقدميـه بالأصفاد، والحرّاس يقومون بإيذائه جنسـيًّا بجرح، أو التّهديد بقطع العضو.

- الصّـورة الثّامنة والثلاثون تظهر (أبو زبيدة) والحرّاس يقومون بحلق لحيته بشـكل قسريّ، والّتي تعتبر في معتقده من العادات الدّينيّة، وهو يستغيث من الحرّاس ويطلب عدم حلق لحيته، فيرد الحرّاس بإهانة المقدّسات والمعتقدات الإسلاميَّة.
- الصّورة التّاسعة والثلاثون توضح ركل الجنود للمصحف الشّريف أثناء تفتيش زنزانته.

2. حالة "محمّدو ولد صلاحي"

كما نشر الموريتاني (محمّدو ولد صلاحي) المسـجون السّابق في "جوانتانامو" عام 2015م، كتابًا عن الفظائع الّتي تعرّض لها أثناء احتجازه في المعتقل، ونشر الكتاب تحت عنوان "يوميات جوانتانامو"، ذكر فيها رحلته الّتي بدأت في موريتانيا موطنه، ومرّت بالأردن وأفغانسـتان قبل أن يُنقـل إلى كوبا، وما صاحبها مـن عمليّات تحقيق وانتهاكات. حـرّر الكتاب الكاتب الأمريكيّ (لاري سـيمز). "يوميات جوانتانامو" هو العمل الأوّل من نوعه، لأنّ مؤلّف الكتاب كان وقتها مازال سـجينًا خلف القضبان، وقـد كتبه (صلاحي) في زنزانته عـام 2005م بخطّ اليد، واحتاج محاميه إلى سـبعة أعوام مـن المفاوضات، قبل أن يحصل على موافقة لنـشره بعد عناء طويل، وكانـت وزارة الدِّفاع الأمريكيَّـة قد قرّرت، حذف بعض المقاطع من شـهادات (صلاحي) قبل نشره بعد الموافقة الأمنية.

و(صلاحي) مهندس إلكترونيّات، مسـجون في "جوانتانامو" منذ عام 2002م، بتهمة الانتماء إلى تنظيم القاعدة، وتجنيد ثلاثة من المشـاركين بهجمات 11 سبتمبر. وتحوّلت قصّة (محمّدو ولد صلاحي) لفيلم سينمائيّ بعنوان الموريتانيّ.

لم يوجّه القضاء الأمريكيّ اتّهامات رسـميّة لـ (ولد صلاحي)، وهذا دليل جديد على العدالة الأمريكيَّـة المزعومة. أكدّ محامي (ولد صلاحي) أنّ ملفّه ليس فيه، إلاّ أدلّة بسـيطة ضدّ موكّله، و نفى (صلاحي) الاتّهامات والجرائم المنسـوبة إليه، وإن كان أقرّ بسفره إلى أفغانستان، للقتال فيها مطلع العقد التّاسع من القرن الماضي ضدّ القوّات السّوفيتيّة. انضمّ (صلاحي) إلى القاعدة عام 1991م، إلاّ أنّه تركه بعد فترة قصيرة.

روى (ولـد صلاحـي) في كتابه، معاناته مع التَّعذيب بكلّ أنواعه، واشـتكى سـوء المعاملة، وحينـما زاره الطّبيب في إحدى المرّات اشـتكى له الحرمان من الـدّواء. فقد كان يعاني من آلام الظّهـر، وآلام في العصب الوركيّ، وانخفاض ضغط الدّم. وكانت جلسـات التّحقيق في موعد أخذ الدّواء. وأوضح له الطّبيب أنّه ليس صاحب سـلطة، ولكنّه سـيرفع تقريرًا بحالته، ولكن لم تتحسّن حالته بل ساءت.

وممّا ورد في الكتاب: "كان التَّعذيب يزداد يوماً بعد يوم، واشـترك الحرّاس فيه بنشـاط، كان (...)[1] يخبرهم مـاذا عليهم أن يفعلوا بالمعتقلين، عند إعادتهم مـن التّحقيق إلى المبنى الّذي يحرسـونه. كان الحرّاس الّذين يحرسـونني يقرعون باب الزّنزانة بقوّة بهدف حرماني من النّوم، وكانوا يلعنونني من دون سبب، و يوقظونني من النّوم مرارًا، إن لم يكن لديهم قرار من المحقّقين بتركي آخذ قسطًا من الرّاحة"[2].

روى (صلاحي) في كتابه عن الانتهاكات الجنسيّة، الّتي حدثت له من الحرّاس والمحقّقين رجالاً ونسـاء. فيما عانى (صلاحي) من السّخريّة والاستهزاء بالمعتقدات الإسلاميَّة؛ حيث تمّ حرمانه من الصّلاة أكثر من مرّة، والاستهزاء بالصّلاة الإسلاميَّة ونعتها بالقذارة، بل وحرمانه من الصّيام أيضًا.

3. حالة (مروان الجبّور)

روى (مروان الجبّورّ) المعتقل السّابق في "جوانتانامو"، لمنظّمة "هيومن رايتسووتش" شهادته عن اعتقالـه وتعذيبه، وهو فلسـطينيّ الأصل. في بدايـة اعتقاله كان يتمّ نقله مـن زنزانته لغرفة التّحقيق عاريًا تماماً مع صفعه أحيانًا، والتّحقيق معه لساعات طويلة. عانى (مروان) سوء المعاملة المعتـاد من نقص الطّعام ورداءته، إلى غير ذلك من أسـاليب معروفة مثل الضّجيج والصّخب، والوضعيّات المجهدة، والنّوم في الظّلام الدّامس أو الحرمان من النّوم.

وقال الجبـور لـ"هيومن رايتس ووتش"، إنّ رجليه ظلّتـا في الأصفاد مدّة عام ونصف العام. وطـوال هـذه الفترة لم يكن يسـتطيع السّـير، إلّا بخطـى قصيرة لأنّ السّلسـلة الّتـي تربط بين كاحليه، كان طولها حوالي 75 سـم. وعندما كانوا يخرجونه من الزّنزانة ليأخذوه إلى غرفة أخرى

1 - محذوف في النّسخة الأصليّة، اسم أحد المحقّقين او مسؤول عن التّعذيب.
2 - ولد صلاحي، م. (2015)، ص252.

للاستجواب، كانوا يعصبون عينيه[1].

وأورد الكاتب الأمريكيّ (لاري سيمز)، في كتابه "تقرير التَّعذيب" الرّأي الّذي أصدرته القاضية الفيدراليّة (جلاديس كيسلر) في نوفمبر 2009م ،بشأن الالتماس المقدّم من المعتقَل السّابق في جوانتانامو (فرحي سيد بن محمّد)، تأمر بموجبه الحكومة باتّخاذ جميع الخطوات الدّبلوماسيّة المناسبة والضّروريّة؛ لتسهيل إخلاء سبيل مقدّم الالتماس فورًا[2].

ج- التَّعذيب والانتهاكات في سجن "أبو غريب".

نشرت مجلّة "المستقبل العربيّ"، الصّادرة عن "مركز دراسات الوحدة العربيّة" في عددها رقم 346 ديسمبر / أيلول 2007م، مقابلة مع الحاج (عليّ القيسيّ) كشهادة حيّة على التَّعذيب في سجن "أبو غريب"، وقد أجرى الحوار الأكاديميّ الباحث العراقيّ الدّكتور (عبد الحسين شعبان).

1. حالة (عليّ القيسيّ).

قال (عليّ القيسيّ) عند سؤاله عن أسباب ومنابع العنف، إنّ شخصًا عنده خمسة وسبعون سنة لا يكتفون بسحبه من لحيته، ولكن يجبرونه على ارتداء ملابس البحر، ويشغلون له الموسيقى الصّاخبة، ويُحضرون كاميرات ويركّزونها عليه، وعندما يرفض أن يرقص يصنعون له فيلمًا مفبركًا عن طريق المونتاج كأنّه كان يرقص، ويعرضون هذه المشاهد على أقاربه وعائلته وبينهم نساء. وعندما يُطلب من معتقَل ممارسة الجنس مع مجنّدة، ويرفض فيتمّ اغتصابه من المجندة. وامرأة يتمّ اغتصابها أمام عشرة أو خمسة عشر رجلاً، فهذا هو مولّد العنف الحقيقيّ. كيف يستطيع أيّ شخص أن يتحكّم في كميّة السّخط والغضب بداخله، أو أن يسامح المتسبّب في ذلك. وعما تعرّض له بشكل شخصيّ، أفاد (علي القيسي) أنّه كان في شهررمضان وسمع الحرّاس ينادون على اسمه، وقيدوا يديه خلف ظهره، وربطوا قدميه بسلسلة، ووضعوا كيساً في رأسه، وصعدوا به إلى السّيارة، ثمّ ذهبوا به الى مكان آخر، وأجبروه على الحركة، وكان هناك أصوات أناس تستغيث وكلاب تنبح، ثمّ جرّدوه من ملابسه كلّها عنوة، ولم يكن يستطيع الحركة بسبب الآلام،

1 - هيومن رايتس ووتش (2007)، ص16.

2 - سيمز، ل. (2017)، ص123.

فضربوه بكعوب البنادق والأحذية، لينقلوه عبر دَرج إلى غرفة التّحقيق، فكان يزحف على ركبتيه أحيانًا، مع تشـغيل موسيقى صاخبة وسط إهانات وتهديدات، وكان الكيس يغطّي رأسه، ورموا عليه الأوسـاخ والقاذورات، وكانوا يكتبون على جسمه عبارات مهينة، ويرمونه بالماء البارد في شهر يناير. وحينما وصل عند المحقّق هدّده وتوعّده بمزيد من التَّعذيب، وكلّ يوم يكرّرون نفس الأسئلة بحثًا عن اعترافات، أو معلومات عن أشخاص مطلوبين للاحتلال.

ويصف (عليّ القيسيّ) "حفلة الاستقبال" في السّجن كما يُطلقون عليها بقوله: "بقيت على هذه الوضعيّة ثلاثة أيّام من دون طعام نهائيًّا، وكانوا يحرصون دومًا على رميّ بالماء، وبثّ الأصوات في أذنيّ، ولقـد وصلت إلى مرحلة من الإنهاك والتّعب، لدرجة صرت فيها على اسـتعداد للنّوم حتّى وأنا واقف، لكن لم يكونوا يسمحون حتّى بذلك، ولم يكن مسموح لنا بقضاء حاجتنا"[1].

(عليّ القيسيّ) هو صاحب أشهر صورة لمعتقَل في أبو غريب، عندما كان يتمّ صعقه بالكهرباء، وهـو واقف على صنـدوق، ووجهه مغطّىً ببطانيـة. تلك الصّورة أصبحت رمـزًا على التَّعذيب والإجـرام الأمريكيّ والغـربيّ. ويقول (عليّ القيسيّ) كنت مازلت أقـف على الحائط، وقال لي الجنديّ سـتقف على هذا الكرتون، الكرتون وهو صندوق وزنه 25 كيلو غرامًا، كان يسـتخدمه الأمريكان للتّعذيب أحيانًا، بحيث يجبرون السّـجين على رفعه لمدة يوم كامل، قال له الجنديّ سـتقف على الكرتون، إن لم تعترف سـنصعقك بالكهرباء فتسـقط من على الكرتون، وسنكرّر العمليّة حتّى تعترف، أو تموت مصعوقاً بالكهرباء، وأحدث التَّعذيب إصابات خطيرة في (عليّ القيسيّ)، بل إنّه حُرم من العلاج لأنّهم يسـتخدمون الإصابـة في التَّعذيب أيضًا، مثل أن يدوس الجنديّ بقدمه على مكان الجرح، بل أحيانًا كان الأطباء يشاركون في التَّعذيب[2].

وعن أوضاع السّـجينات قال (عليّ القيسيّ): "كانت زنازين النّساء في مقابل زنازين الرّجال، وكانت المعاملة نفسها، وكان الرّجال يسـمعون أصوات استغاثات النّساء، وكانوا يجبرون أحد الرّجال أن يذهب للنّسـاء بالطّعام وهو عارٍ تمامًا. وقد حدثت حالات اغتصاب كثيرة في سجن "أبو غريب"، وبعض من السّجينات أقدمْنَ على الانتحار خوفًا من جلب العار لمجتمعهنّ القَبليّ، وربمّا تمّ قتل بعضهنّ من عائلتهنّ خوفًا من الفضيحة".

1 - شعبان، ع. ح. (2007)،، ص103.
2 - المصدر نفسه، ص111.

2. حالة (خالد المقطريّ).

برز اسم اليمنيّ (خالد المقطريّ) كأحد ضحايا التَّعذيب في "أبو غريب"، نشرت "منظمة العفو الدّولية" تقريرًا عن حالته وعن التَّعذيب الّذي تعرّض له داخل السّجن. ويقول (المقطري) بعد القبض عليه اقتادوه لغرفة التَّعذيب، وهي غرفة ضيّقة أرضيتها مغطّاة دومًا بالماء، واعتدوا عليه بالضّرب أكثر من مرّة بالعصيّ وباللّكمات، واستخدموا موسيقى صاخبة. وتمّ إجباره على الوقوف أمام مكيّف هواء قويّ وبدأوا بسكب الماء البارد على رأسه بين الحين والآخر، وأعطوه صندوقًا ثقيلاً وأجبروه على حمله، وبالطّبع لم يستطع، فكانوا يضربونه بشدّة. واستمرّ التَّعذيب باستخدام بَكَرَة لتنزيله ورفعه فوق صندوق فيه ماء، مع ربطه بسلسلة تتدلّى من سقف الغرفة.

وقال (خالد المقطري) أنه أثناء التَّعذيب استخدمه أحد المحقّقين ككرسي للقدمين، حيث جلس على كرسيّ مجاور ووضع قدميه على رأس خالد أو ظهره، وأطفأ ذات مرّة لفافّة تبغ في كتبه[1].

تساءلت (أوليفر) كيف استطاعت البنات في أبو غريب هتك عرض الرّجال؟! هذا هو الجزء الغريب في المعادلة بنات يهتكْنَ عرض رجال، ليس هذا هو المعتاد. أمامنا الآن خلطة معقّدة من العنف العنصريّ والجنسيّ، موجّه للرّجال المحتجزين العراقيّين الّذين يُعامَلون كالكلاب[2].

وتتساءل (أوليفر) ماذا نرى عندما نشاهد الصّور القادمة من "أبو غريب"؟ إنّ الصّور تعرض بوضوح السّلوك الاستعماريّ لأمريكا في العراق، حيث تظهر الأجساد الذّكوريّة السّمراء حال الاعتداء عليها، وشابّات بيضاوات يبتسمْنَ ويرفعْنَ إبهامهن.

■ المبحث الثّالث: ادّعاءات السّياسة الأمريكيَّة الكاذبة وتناقضاتها

أ- نماذج لشهادات بعض الجنود والمحقّقين السّابقين في المواقع السّود.

أصدر (إيريك سار) الجندي السّابق والمترجم في معتقل "جوانتانامو"، بالاشتراك مع الصّحفية البارزة (فيفيكا نوفاك)، كتاباً بعنوان "داخل الأسلاك الشّائكة"، احتوى الكتاب تفاصيل مروّعة عن الانتهاكات والتَّعذيب والاعتداءات الجنسيّة ضدّ السّجناء، وبدأ (سار) عمله كمترجم في

1 - منظمة العفو الدّولية (2008)، ص8.

2 - كيلي، أ. (2011)، ص6.

زنزانات المعتقلين في ديسمبر / كانون الأول 2002م، ثمّ انتقل للعمل كمترجم أيضًا في عمليات التّحقيق حتّى يونيو 2003م.

وصرّح (إيريك سـار) في مقابـلات إعلامية[1]، بأنّ الجيش الأمريكيّ تجاهل بشـكل متعمّد اتّفاقيّات جنيف، بل إنّ الجنود قد مارسوا التّضليل للتّغطية على التّعذيب، حيث تمّت عمليات تحقيق وهميّة عند الزّيارات أو التّفتيش.

وأضاف (سـار) أنّ غالبية السُّجناء، لم يمتلكوا معلومات استخباراتيّة مُهمّة، ولم تكن لديهم علاقات أو اتّصالات بجماعات إرهابيّة، وأبدى (إيريك سـار) تخوّفه من الصّورة السّـيّئة، الّتي ستؤثّر بكلّ تأكيد على سمعة الولايات المتّحدة الأمريكيَّة، وعلاقتها بالمسلمين في العالم، وقال إنّه يشعر بتناقض الإدارة الأمريكيَّة بين ادّعاءات نشر الدّيمقراطيّة في العالم، وانتهاكات جسيمة غير مسبوقة بحقّ المعتقلين في "جوانتانامو".

وذكرت (كيلي أوليفر) في كتابها "الّنساء أسلحة حربيّة"، أنّ مخطوطة كتاب (إيريك سار)، كان تحت يـد البنتاغون قبل طباعته عام 2005م، وتمّ تسريـب بعض صفحاته؛ وتصف كيف كانت تستجوب المحقّقات المعتقلين، باستخدام أسـاليب مثل اللّمس الجنسيّ، والملابس المثيرة، ودم الحيض الكاذب لكسر السُّجناء المسلمين بجعلهم غير طاهرين، ومن ثمّ غير قادرين على الصّلاة. وذكرت (أوليفر) بخصوص المجنّدة (ليندي انجلاند) وشريكها (شـارلز جرانر)، وهما أصحاب أشـهر صور التَّعذيب في أبو غريب. (جرانر) صاحب فكـرة الهرم البشريّ، و(ليندي) صاحبة صـورة المعتقَل الّذي يمشي على يديه وقدميه، وفي رقبته طوق كلب وهي تمسـك به، وتبتسم بينما يصوّرها (جرانر).

نقلت (أوليفر) أنّ (جرانر)، قـال إنّ (اينجلاند) كانت تنفّذ الأوامر فقط، وأنّ قوّة الإكراه الّتي استخدمتها كانت مشروعة، عبرّ القاضي عن استيائه لإقرار (اينجلاند) بأنها مذنبة، بعد أن قالت أنها كانت تظنّ صورة حزام الكلب شـيئًا مقبولاً، بقولها: "ليس صوابًا أن تضع حزام كلب حول عنق إنسان، وتأمره أن يزحف"[2].

---

1 - نشرتها الجارديان البريطانية: https://www.theguardian.com/world/2005/may/08/usa.guan-tanamo، تم الاطلاع عليه بتاريخ: 1/1/2024

2 - أوليفر، ك. (2011)، ص185.

فيما لم يكن (تشـارلز جرانر) وحده مع المجرمة (ليندي انجلانـد)، بل كانت معهم شريكته المجنّـدة السّـابقة (ميجان امبـول)، ضمن فريق التَّعذيب في سـجن أبو غريـب، وقدِ اعترفت (ميجان) بأنّ المسؤولين عن الاستجواب كانوا يحثّونها هي وباقي النّساء العاملات في السّجن، على السّخرية من المعتقلين العراقيّين، وهم عراة بالإشارة إلى أعضائهم التّناسليّة.

ب- تناقض العدالة والسّياسة الأمريكيَّة

قامت تظاهرات احتجاجيّة على مستوى العالم تنديدًا بفظائع الاحتلال الأمريكيّ، ظهرت فيها صور سـجناء عراقيّين يتعرّضون للإذلال والتَّعذيب، وبعضهم تحت تهديد السّـلاح من الجنود الأمريكيّين في سجن "أبو غريب"، وتمّ فتح التّحقيق مع المطالبات الدّوليّة وضغوط الجمعيّات الحقوقيّة. والعجيب أنّ أعمالاً بهذه القسوة والفظاعة، يتمّ تحميل مسؤوليتها فقط لسبعة أفراد من الشّرطة العسكريّة، في حين أنّ هذه الأعمال تحتاج لتخطيط ودراسة، والأهمّ إذن من مسؤولين كبـار بالقيام بذلـك. وقد يرى البعض أنّ هـذه العقوبات غير كافية لهـؤلاء الجنود المجرمين، وربمّا غير رادعة، وقد تتكرّر في المسـتقبل، أو ربمّا كانت مستمرّة لأنّ نهج الغطرسة الأمريكيَّة لم يتغيّر في السّـاحة الدّوليّة. وأمّا الضحايا فلم يحصلوا على أيّ تعويض، سوى اعتراف ضئيل من الحكومة الأميركيّة.

وقد جرت تحقيقات أمام القضاء الأمريكيّ جرى فيها تقديم رتب صغيرة، وليس المسـؤولين الكبار الحقيقيينّ، وتحجّجت الإدارة الأمريكيَّة أنّ التَّعذيب حالات فرديّة، وليسـت استراتيجيّة عامّة. تمّت محاكمة وإدانة سـبعة عسـكرييّن فقط من حرّاس السّـجن، ثمّ تسريحهم وإدانتهم بالسّجن. كما تمّ توبيخ العميد (جانيس كاربينسكي) المسؤولة عن سجن "أبوغريب"، وتخفيض رتبتها إلى عقيد. (جانيس كاربينسـكي) بدورها كانت أقرّت بأنّها شاهدت بعينيها مذكّرة مشدّدة موقّعة، من قبل وزير الدِّفاع الأمريكيّ حينها، تُلزِم مسؤولي السّجن باستخدام القسوة مع معتقلي "أبو غريب".

وزير الدِّفاع وقتها (دونالد رامسفيلد)، كان قد زار السّجن في بغداد، والتقط الصّور مع الجنود ليعطي رسالة للشَّعب الأمريكيّ، أنَّنا هنا من أجل الحرّيَّة، في حين أنّه كان يشرف على عمليّات قتل وتشريد وتعذيب الشّعب العراقيّ، وبثّ الفرقة بين كلّ دول المنطقة.

خاتمة

تظهر الإزدواجيّة الأمريكيَّة بين ما ترفعه من شعارات مثل الحرّيّة، ولكنها تكفلها فقط لشعبها وليس للآخرين، وترفع شـعار حقوق الإنسـان، فقط لحلفائها وفي الوقـت عينه تغض الطّرف بل وتسـاهم في قتل الشّـعوب المناهضة لسياسـتها. فقد اتّخذت أمريكا الاستكبار والغطرسة نهجًا في العراق وافغانسـتان وفلسطين. وحاصرت الشّـعوب الحرّة مثل لبنان وإيران، وتمارس الضّغط الاقتصاديّ والسّـياسيّ والإعلاميّ على باقي شـعوب المنطقة، مثل مصر والأردن إلى غير ذلك. عندما قرّرت الولايات المتّحدة وحلفاءها غزو افغانسـتان، لأسباب عديدة لم تهاجم فقط الإرهاب الذي صنعته، بل انتقمت من الشّعب كلّه وأحدثت حالة من التّوتر والانقسام بين شّـعوب وسط آسـيا، وحدث نفس الشّيء عند الهجوم على العراق، عندما نثرت بذور الطّائفيّة والمذهبيّة، الّتي تعاني منها المنطقة حتّى الآن. ولم يكن تنظيم داعش الإرهابيّ حالة شـاذة عن هذا السياق التخريبي، بل كان آخر مؤامراتها ولن يكون المؤامرة الأخيرة.

وها هو الشّعب الفلسطينيّ، يتعرّض لأبشع أنواع الاعتداء والعدوان من الكيان الصّهيونيّ، وكلّ هذه الجمعيات والمؤسسـات الدولية لم تحرّك ساكنًا، وكأن الشّعارات الّتي ترفعها هي موجهة فقط ضد الشّعوب العربيّة والإسلاميَّة.

المراجع والمصادر

أولاً: باللّغة العربيّة

1. أوليفر، ك. (2011) النّساء أسلحة حربيّة: العراق الجنس والإعلام، ت: شكري مجاهد، ط1، الرّيّاض.

2. بيج، م. (2008) عدوّ محارب-رحلة مسلم بريطاني إلى معتقل جوانتانامو ذهاباً وإياباً، ت: أيهم الصّباغ، مكتبة العبيكان، ط2، الرّيّاض.

3. السّعدي، ح. (2023) فكّ الشّيفرة الخماسيّة، العين للنّشر، ط1، الإمارات العربيّة المتّحدة.

4. سيمز، ل. (2017) تقرير التّعذيب-وثائق برنامج التّعذيب الأمريكيّ بعد أحداث 11 سبتمبر، ت: منار الشّهابي، مكتبة العبيكان، ط1، الرّيّاض.

5. شعبان، ع. (2007) "شهادة حيّة في سجن أبو غريب-مقابلة مع الحاج عليّ القيسيّ"، مجلّة المستقبل العربيّ، مركز دراسات الوحدة العربيّة، بيروت، العدد 346.

6. فوكو، م. (1990) المراقبة والمعاقبة- ولادة السّجن، ت: الدّكتور عليّ مقلّد، مركز الإنماء العربيّ، ط1، بيروت.

7. منظمة العفو الدّوليّة (2008)، الولايات المتّحدة الأمريكيَّة: قضيّة تستوجب المساءلة- من أبو غريب إلى الحجز السّرّيّ لوكالة الاستخبارات المركزيّة-حالة خالد المقطري، ط1، لندن.

8. هروود، ب. (2008) تاريخ التّعذيب، ت: ممدوح عدوان، دار ممدوح عدوان للنّشر، ط1، دمشق.

9. هيومن رايتس ووتش (2007) السُّجناء الأشباح_عامان من الاعتقال السّرّيّ لدى وكالة الاستخبارات المركزيّة، فبراير 2007.

10. ولد صلاحي، م. (2015) يوميّات جوانتانامو، تحرير لاري سيمز، ت: عمر رسول، دار السّاقي، ط1، بيروت.

ثانياً: باللّغة الانجليزية

1. Denbeaux, M. (202) American Torturers -FBI and CIA Abuses at Dark Sites

and Guantanamo, Seton Hall University School of law, Center for Policy and Research.

2. Ramesh, R. (2019) The History and Evolution of American Torture and Secret Prisons (1898 - 2008) George Town University, Qatar.

3. https://www.theguardian.com/world/2005/may/08/usa.guantanamo

4. https://www.europeanpressprize.com/article/what-guantanamo-made-of-them/